

أردوغان يتوج حملته لأسلمة تركيا بالصلاة في آيا صوفيا

اتهامات غربية للرئيس التركي بالسطو على معلم تاريخي لأجل مكاسب سياسية ظرفية



أردوغان يوظف ورقة الدين لتحقيق حلمه العثماني

الصغيرة التي تقع قبالة الساحل التركي مباشرة، ونكست الأعلام في بعض المناطق أيضا.

من جهته، انتقد وزير الخارجية الألماني هايكو ماس تحويل تركيا متحف آيا صوفيا في إسطنبول إلى مسجد. وقال "إنه قرار لا يمكننا فهمه".

فالمبنى الفريد من نوعه له أهمية تتجاوز تركيا بوصفه ميراثا حضاريا، مبينا أن قرار تحويل آيا صوفيا إلى مسجد لن يكون داعما للحوار بين الاتحاد الأوروبي وتركيا.

كما انتقدت نائبة رئيس البرلمان الألماني كلاوديا روت، تحويل آيا صوفيا إلى مسجد، معتبرة ذلك "إعلانا للحرب على تركيا العلمانية" وإساءة استخدام للدين.

وطالبت روت الاتحاد الأوروبي بالرد على هذا الاستفزاز على نحو يوفق الانتقادات الحالية.

وقالت "إذا حُدد الاتحاد الأوروبي موقفه عبر وقف توريد أسلحة إلى تركيا، أو في حال اتخاذ إجراءات اقتصادية تتعلق بضمانات هيرمس للتصدير، فإن ذلك سيوجع أردوغان"، مضيفة أن "يغض الطرف"، لأنه جعل نفسه معتمدا على الرئيس التركي عبر اتفاق اللاجئين.

الرفض والعداء لها على نطاق واسع. وقال أحد كبار مساعدي أردوغان إن ما أسماها دعاية المثليين تشكل تهديدا خطيرا لحرية التعبير.

● انتقادات حادة: دقت الكنائس في أنحاء اليونان أجراسها بالتزامن مع إقامة صلاة الجمعة للمرة الأولى منذ تسعة عقود في آيا صوفيا بتركيا بعد تحويل البناية الأثرية إلى مسجد.

واستقبلت اليونان قرار تحويل آيا صوفيا إلى مسجد بانتقادات حادة تسلط الضوء على العلاقات المتوترة في العادة بين أثينا وأنقرة.

وصف رئيس الوزراء اليوناني كيرياكوس ميتسوتاكيس، من خلال رسالة بمناسبة الذكرى السادسة والأربعين لاستعادة الديمقراطية في البلاد، تركيا بأنها "مؤيرة للمشكلات" كما وصف تحويل آيا صوفيا إلى مسجد بأنه "إهانة لحضارة القرن الحادي والعشرين".

وقال ميتسوتاكيس "ما يتكشف اليوم في القسطنطينية ليس إظهارا للقوة بل دليل على الضعف" في إشارة إلى اسم إسطنبول القديم الذي استخدمه اليونانيون.

ودقت أجراس الكنائس في كل أنحاء اليونان من كريت وحتى الجزر اليونانية

وأفضت التدخلات العسكرية التركية في الوقت الراهن في سوريا والعراق وليبيا إلى اتهامات من خصومه بأنه ينتهج سياسة "عثمانية جديدة" لإحياء نفوذ الإمبراطورية الإسلامية في الأراضي التي كانت تابعة لها في الشرق الأوسط. وصور تغيير وضع آيا صوفيا على أنه إشارة على "عودة الحرية" إلى المسجد الأقصى في القدس الشرقية التي تحتلها إسرائيل.

● التغيرات الاجتماعية: قال أردوغان إن المساواة بين الجنسين شيء يتنافى مع الطبيعة، حيث أن الطبيعة "الحساسة" للمرأة تعني أنه من المستحيل وضعها على قدم المساواة مع الرجل. وأضاف أنه يجب المساواة بين المرأة والرجل أمام القانون لكن يتعين الاعتراف بأن دورهما مختلف في المجتمع.

واتهمه معارضوه بالتدخل في الحياة الخاصة، من نصيحته للنساء بئسان عدد الأطفال الذين يجب إنجابهم، إلى الهجوم على عمليات الإجهاض والولادات القيصرية التي يعتبرها مؤامرات خفية لعرقلة نمو تركيا.

وتوقع السلطات على نحو متزايد مناسبات المثليين في تركيا، التي لا يجرم القانون فيها المثلية الجنسية رغم

ساعد الجيش في إرغام رئيس الوزراء الإسلامي آنذاك نجم الدين أربكان، على التنحي.

وخلال حكم أردوغان، دخل مئات من كبار ضباط الجيش أروقة المحاكم بتهمة محاولة الإطاحة بحكومته. وبعد أن نجح من محاولة انقلاب عسكري في عام 2016، جرت عملية تطهير شملت الإطاحة بالآلاف من ضباط الجيش ومؤسسات الدولة الأخرى.

● الكحول: لم يخف أردوغان، وهو المسلم المعتد، أنه لا يشرب الكحول في تناقض شديد الوضوح مع أتاتورك الذي كان يظهر في صورته الفوتوغرافية في غالب الأحيان وهو يمسك بيده كأسا. وفرضت حكومة أردوغان ضرائب عالية على المشروبات الكحولية، ووضعت قيودا في بعض المناطق على الشرب في الأماكن العامة، وضيق الخناق على الإعلانات عنها.

● الجيش: كان الجيش هو المعقل والحصن المدافع عن قيم أتاتورك العلمانية، وتدخل أربع مرات في أربعة عقود بدءا من عام 1960 لإسقاط حكومات تركية. وفي تدخله عام 1997، والذي أطلق عليه "انقلاب ما بعد الحداثة"،

أسلمة متحف آيا صوفيا لم تكن قرارا ارتجاليا من الرئيس التركي بل كانت جزءا من خطة أوسع لأسلمة الحياة العامة في تركيا ومحاولة إحياء مناخ الحكم العثماني، بما يمكن أردوغان من الحلم بلعب دور السلطان الجديد من خلال توظيف الدين والتاريخ والانقلاب على دولة أتاتورك الحديثة.

وفي ما يلي بعض التغييرات الرئيسية في ظل حكم أردوغان:

● الحجاب: رفعت تركيا الحظر على ارتداء الحجاب في مؤسسات الدولة في عام 2013، وهو قيد قديم ظل مؤيدوه يعتبرونه رمزا مهما للفصل بين الدولة والدين.

وقال أردوغان الذي كان رئيسا للوزراء آنذاك إن "تشريعا يستاء منه كثير من الشباب ويتسبب في معاناة شديدة لابنائهم، في حقبة ظلام، يقترب من نهايته".

● التعليم الديني: أعاد أردوغان، الذي قال إن من بين أهدافه صنع جيل من الأتراك "الأتقياء"، الروح إلى مدارس الإمام الخطيب التي تمثل دروس التربية الدينية فيها ما بين ربع وثلاث مناهجها الدراسية.

وجرى التوسع في تمويلها، مع بناء عشرات المدارس الجديدة وتخصيص مئات الملايين من الدولارات لها، حسبما أظهر تحقيق أجرته رويترز.

كما تغيرت المناهج في المدارس العادية. وأعلنت الحكومة قبل ثلاث سنوات أن المدارس الثانوية ستوقف عن تدريس نظرية داروين للتنشوء والارتقاء والتطور، باعتبارها مثيرة للجدل وصعبة الفهم.

● المساجد: بنت تركيا 13 ألف مسجد منذ تولي أردوغان السلطة، حسبما تظهر بيانات مديرية الشؤون الدينية، ليصل الإجمالي إلى 89259 في العام الماضي.

ومن بين هذه المساجد جامع تشامليجا الأكبر في تركيا والذي تم افتتاحه رسميا في العام الماضي على غرار التصاميم الكلاسيكية للمهندس العثماني الشهير سنان. يطل المسجد على مضيق البوسفور من قمة تلة على الجانب الآسيوي من إسطنبول.

وتوضع اللمسات الأخيرة على مسجد آخر كبير في ساحة تقسيم بوسط إسطنبول، فيما يضيف صيغة دينية أشد وضوحا على حي يقف فيه نصب تذكاري لأتاتورك.

● الجيش: كان الجيش هو المعقل والحصن المدافع عن قيم أتاتورك العلمانية، وتدخل أربع مرات في أربعة عقود بدءا من عام 1960 لإسقاط حكومات تركية. وفي تدخله عام 1997، والذي أطلق عليه "انقلاب ما بعد الحداثة"،

إسطنبول - حضر الرئيس التركي رجب طيب أردوغان أولى صلوات الجمعة في آيا صوفيا منذ إعادة الأثر القديم إلى مسجد، متوجا حملته الطويلة لأسلمة الحياة العامة لجمهورية كانت في السابق موعلة في العلمانية، في وقت تتزايد فيه الانتقادات لما شابهه بعض المراقبين بالسطو على معلم أثري كبير لتحقيق مكاسب سياسية أتية للرئيس التركي.

على مدى 17 عاما في السلطة، غير أردوغان وحرزبه العدالة والتنمية نو الجذور الإسلامية وجه تركيا الحديثة، ونزع أفضال الحظر على الحجاب في الأماكن العامة، ورفع لواء الدفاع عن التعليم الديني وبنى آلاف المساجد في جميع أنحاء البلاد.



كيرياكوس ميتسوتاكيس: ما يتكشف اليوم في القسطنطينية إهانة لحضارة القرن الحادي والعشرين



كلاوديا روت: تحويل آيا صوفيا إلى مسجد إعلان للحرب على تركيا العلمانية وإساءة استخدام للدين

وفي الوقت الذي استبقى فيه الدستور العثماني، الذي صاغه مؤسس الجمهورية مصطفى كمال أتاتورك، بيد أردوغان شكل الحياة في البلد الذي كان يقوده أتاتورك قبل نحو قرن من الزمان.

المسجد والتاريخ سلاح أردوغان الأخير

الإمبراطورية العثمانية دون التفريط في قيم الحداثة، وهدفه استعادة نفوذها على الأراضي التي كانت تسيطر عليها ذات مرة خصوصا في شمال أفريقيا والتوغل داخل غرب القارة.

العرب والتركان على الأرض في ليبيا منذ يناير الماضي، مدعومين بطائرات طويلة التحمل من دون طيار وبطائرات مضادة للطائرات.

وتعتقد أن الفوضى في ليبيا محفز رئيسي للهجرة غير الشرعية نحو أوروبا وتغذي انتشار الجهادية المتطرفة في جنوب وغرب أفريقيا والأثار المزعجة للاستقرار على المنطقة الأوسع، وليست أقلها تونس، وهذا ما يحاول أردوغان التغطية عليه بمحاولة دغدغة الشعور الديني لدى قاعدة واسعة للمجتمعات العربية الإسلامية. قرار أردوغان له أبعاده السياسية القريبة ومتوسطة المدى، داخليا يهدف إلى تحقيق نقاط مع أتباعه المتدينين والقوميين، وعينه على تحقيق نتائج مهمة لحزبه وحلفائه في الانتخابات الرئاسية في يونيو 2023، وتعزيز قاعدته الانتخابية ومشاريعه التوسعية.

ومع ذلك، فإن العلاقات المتضاربة لتركيا مع جميع جيرانها عامل قد يلحق بأردوغان هزيمة مباشرة ولن يستطيع إعادة تاريخ إمبراطوري لا تسعف الظروف في إعادة تحقيقه. وأخيرا استغل أردوغان رمزية آيا صوفيا سياسيا ودينا، كي يُنظر إلى تركيا على أنها تجسد روح

الجدد في ما يتعلق بإعادة تقييم دور مؤسسات الدولة والشركات الاستثمارية في العالم وأهميتها في العلاقات الدولية وبناء مصالح تقوية مجالها الحيوي، باستغلال المشاعر الدينية معبرا للأردوغانية للسيطرة على مشاعر الأتباع كخطوة أولى في المشروع الأردوغاني كمنظومة. بشكل عام، إن التعاطي العاطفي مع قرار أردوغان جزء من مشكلة أكبر تتطلب من النخب السياسية في بلدان شمال أفريقيا بشكل خاص، أن تتكيف مع التغيرات في حجمها الحالي لضبط سلوك تركيا الأوردوغانية حتى لا تصبح مشكلة بعيدة عن الحل.

نقول إن ما يقوم به أردوغان بتكامل في شقه الأمني والسياسي مع قيامه بتصدير الصراع السوري إلى ليبيا بعدما نشرت تركيا ما يقدر بـ 7 آلاف من المرتزقة

دام هناك صرح إسلامي عظيم آخر في إسطنبول شبه خاو من المصلين وهو مسجد السلطان أحمد الذي يرجع بناؤه إلى القرن الـ17 الميلادي، لافتا إلى أن المدينة فيها أكثر من ثلاثة آلاف مسجد. بنيت آيا صوفيا التي تقف اليوم في الأصل ككاتدرائية لعاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية في القرن السادس، وأصبحت مسجدا عام 1453 مع الفتح العثماني للقسطنطينية وبعد سقوط الإمبراطورية العثمانية وتأسيس الجمهورية التركية، قام مصطفى كمال أتاتورك، مؤسس الجمهورية التركية وأول رئيس لها، بنحويل آيا صوفيا إلى متحف لهذا ينطوي الانتقال من كاتدرائية إلى مسجد ثم متحف وأخيرا إلى مسجد على

أولوية السياسة الخارجية التركية ورؤية الحكام كثيرا من الانسحاق العاطفي وراء حدث أرادت الرئاسة التركية إضفاء نوع من القداسة والبطولة والجرأة على من تبناه ووصل به إلى هذا المستوى من التجسيث الإلكتروني والإعلامي تمهيدا للانتعاش على المستويات الأمنية والتجارية، ولم لا العسكرية؟ القرار لم يتم اتخاذه فجأة ولكن بعد إنضاج شروطه السياسية، فبالعودة إلى تاريخ 27 مايو من العام 2012، نرى احتجاج أنصار أردوغان أمام مبنى آيا صوفيا، على قانون حظر إقامة الشعائر الدينية فيه، وافتحين شعار "اكسروا المساجد.. والأسلح.. وافتحوا مسجد آيا صوفيا..".

وبعدها بسنة أكد باحثون أكاديميون تابعون للمنظومة الأوردوغانية التي كانت في طور تقوية مواقفها، أن إعادة الصلاة إلى آيا صوفيا أصبح أكثر إلحاحا على اعتبار تحويلها إلى متحف تم بطريقة "غير شرعية" عبر تزوير توقيع أتاتورك على القرار المتعلق بالموضوع.

وبعد قراءة الواقع الجيوسياسي قبل وبعد القرار نجد أن أردوغان أقر عندما كان رئيسا للوزراء في العام 2013، أن ينتظر التوقيت المناسب ويستعمل سياسة تمويهية، قائلا إنه لن يفكر في تغيير وضع آيا صوفيا ما

محمد ماموني العلوي

تريد المنظومة الأوردوغانية استعادة إرث إمبراطورية العثمانيين، وهذا في نظرنا تحد معقد للغاية لإعتبارات جيواستراتيجية، يجعل من المستحيل الذهاب إلى أبعد نقطة في تبني الحلول المؤسسية على دغدغة العواطف من منطلقات عرقية ودينية، وعليه، فمخطوات الانتقام من تقسيم ذلك الإرث إلى دول وطنية محكوم عليها بالفشل دائما وقد جربها أردوغان في عدد من الملفات وليست ليبيا آخرها.

ومع ذلك، يمكن تمييز إغراء العاطفة الدينية الطاغية في الخيال السياسي لبعض الناس الذين لا يميزون جيدا الخطوات الأوردوغانية. وإذا عدنا إلى واقعة تحويل المتحف إلى مسجد تقام فيه الصلاة كرونولوجيا، نقرأ أنه تمت عملية فتح المسجد تدريجيا بالجزء الخلفي من المبنى، وتم رفع الأذان من مبنى يقع في ساحة "آيا صوفيا"، وفي العام 2016، كان هناك قرار بتلاوة القرآن بشكل يومي وبرامج دينية. ويبدو أن إعادة شعائر صلاة الجماعة والجمعة إلى آيا صوفيا بتركيا، في ظاهرها انتصار للوهبة الإسلامية، لكن في السياقات التي تمر بها المنطقة حاليا فإنه يتخلل منا الحذر

